

اللاشعور و الاحلام عند "علي الوردي"

د. عمومن رمضان جامعة عمار التليجي الاغواط

أ. دعماش خديجة جامعة عمار تليجي الاغواط

البريد الإلكتروني: khedmar@gmail.com: Email

ملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على مساهمة الدكتور علي الوردي عالم الاجتماع العراقي الذي يعتبر اول عالم عربي في علم الاجتماع ، و نود من خلال هذه الورقة البحثية ان نركز على اسهامات هذا العلامة في مجال علم النفس،(رغم أنه اسهب في عطائه و ابحاثه في مجال علم الاجتماع) و ذلك من خلال قراءة علمية موضوعية لمؤلفين من مؤلفاته "الاحلام بين العلم و العقيدة" و "خوارق اللاشعور"، حيث تناول الدكتور علي الوردي موضوع الاحلام من زاوية جديدة لم يتطرق لها المختصين في هذا الموضوع، و أعطى مفهوما جديدا لللاشعور مستندا في ذلك إلى كل النظريات العلمية التي بحثت في الموضوعين.

الكلمات المفتاحية: اللاشعور، الاحلام.

Unconscious and Dreams when Ali Alwardi

Abstract

The present study aims to identify the contribution of Dr. Ali Alwardi Iraqi sociologist who is considered the first Arab world in sociology, and we would like through this paper to focus on the contribution of this brand in the field of psychology, (though he elaborated on his bid and his research in the field Sociology) and through scientific reading objective of the authors of his books, "dreams between science and faith" and "Parapsychology", where he addressed Dr. Ali Alwardi theme of dreams from a new angle did not touch them specialists in the subject, and gave a new concept of unconscious document in that to all scientific theories, which looked at the two subjects.

Keywords : Unconscious, Dreams

مقدمة

مسألة الاحلام مسألة قديمة أثارت دهشة الانسان و تساؤلاته منذ أن استطاع تمييزها عن الواقع فلقد أثارت دهشته على اختلاف مواقعه فيلسوفا أم عالما، عاديا أم مثقفا، و هكذا إلى أن كتب عنها و بحث فيها ووضع الآراء في تفسيرها، و توالى فصول هذا الموضوع بحيث ورد ذكرها في العهد القديم و العهد الجديد، و حتى القرآن الكريم ذكر الاحلام في سورة يوسف و ولى لها اهتمام كبيرا، و في القرن الماضي اكد كل من "ليتز و شبنهاور و هاملتون" على وجود حياة نفسية لاشعورية ببراهين عقلية و توالى بعدها أبحاث كثيرة إلا أن أبحاث "قرويد" كانت في الصدارة ، حتى أن نظرية التحليل النفسي أصبحت تسمى نظرية اللاشعور، كما أكد على العلاقة الوثيقة بين اللاشعور و الاحلام، و أصبح المفهوم لا ينفصلان عن بعضهم البعض، أما على المستوى العربي نجد أبحاثا جدير بالاهتمام للدكتور علي الوردي الذي أعطى مفهوما جديدا للاشعور و الاحلام كما فسر و علل حدوثها و تأثيرها على الانسان في ضوء بعض النظريات العلمية الفيزيائية. هكذا اصبح موضوع الاحلام و اللاشعور من المواضيع الهامة في كل اشكال العلم سيما علم النفس.

1- تعريف علي الوردي

علي حسين محسن عبد الجليل الوردي ولد هذا العالم في بغداد في مدينة الكاظمية عام 1913، ترك مقاعد الدراسة في عام 1924 ليعمل صانعاً عند عطار و لكنه طرد لأنه كان ينشغل بقراءة الكتب و المجلات و يترك الزبائن، و بعد ذلك فتح دكان صغير يديره بنفسه، و في عام 1931 التحق بالدراسة المسائية في الصف السادس الابتدائي و كانت بداية حياة جديدة، و أكمل دراسته و أصبح معلماً، كما غير زيه التقليدي 1932 و أصبح أفندي، و بعد اتمامه الدراسة الثانوية حصل على المرتبة الأولى على العراق، فأرسل لبعثة دراسية إلى الجامعة الأمريكية في بيروت و حصل على البكالوريوس و ارسل في بعثة أخرى إلى جامعة تكساس حيث نال الماجستير عام 1948 و نال الدكتوراه عام 1950، و سجل له التاريخ قول رئيس جامعة تكساس بقوله "أيها الدكتور الوردي ستكون الأول في المستقبل في علم الاجتماع"¹

عام 1943 عين في وزارة المعارف مدرسا في الاعدادية المركزية في بغداد. عين مدرسا لعلم الاجتماع في كلية الآداب في جامعة بغداد عام 1950، أحيل على التقاعد بناء على طلبه ومنحته جامعة بغداد لقب (استاذ متمرس) عام 1970. كتب وألف العديد من البحوث المهمة والكتب والمقالات ولم يلتفت إلى مستقبله الشخصي، وإنما كانت حياته معاناة وتعب وأجتهاد وأختلف مع الحكام في بعض الأمور، وفي هذه المعاناة وحدها رأى المستقبل يصنع بين يديه. كتب عنه: سلامه موسى، عبد الرزاق محيي الدين، ومئات الصحف والموسوعات والكتب ورسائل الماجستير و الدكتوراه، و منذ اواخر السبعينات انشغل بكتابة مذكراته لإخراجها في كتاب².

كان الوردي متأثراً بمنهج ابن خلدون في علم الاجتماع. فقد تسببت موضوعيته في البحث بمشاكل كبيرة له، لأنه لم يتخذ المنهج الماركسي ولم يتبع الأيدلوجيات (الأفكار) القومية فقد أثار هذا حنق متبعي الايدلوجيات فقد اتهمه القوميون العرب بالقطرية لأنه عنوان كتابه "شخصية الفرد العراقي" وهذا حسب منطلقاتهم العقائدية إن الشخصية العربية متشابهة في كل البلدان العربية وكذلك إنتقده الشيوعيون لعدم اعتماده المنهج المادي التاريخي في دراسته³.

2-خوارق اللاشعور :

يبحث الدكتور "علي الوردي" في هذا الكتاب في غوامض العبقرية و التفوق و النجاح و ما يسمى عند العامة "الحظ" و أثر الحوافز اللاشعورية فيها في ضوء النظريات العلمية، حيث يذهب أنصار هذا الاتجاه (اللاشعور) إلى أنه بعدما كان الانسان حرا مختار يوجه سلوكه في ضوء العقل الواعي و يقرر مصيره بإرادته، أصبح اليوم يعتبر كأنه آلة صماء تسيطر عليه الحوافز اللاشعورية و تدفع به دفعا. و قد يسأل القارئ ما هو هذا العقل الباطن الذي يسير الانسان في أغلب أعماله؟ إن الجواب عن هذا السؤال عسير جدا، فالعقل الباطن (اللاشعور) قد اختلف فيه الباحثون و ذهبوا فيه مذاهب شتى. و قد ظهر أخيرا علماء انكروا وجوده انكارا تاما، و اننا هنا سوف لا ندخل في هذا الجدل أو نحاول أن نحكم و الذي نريد أن يفهمه القارئ الآن هو أن العقل الباطن أو اللاشعور، يراد به الإشارة إلى ما يحدث في داخل النفس من مجريات لا يشعر بها الفكر و لا تدخل في مجال الوعي و التأمل

. ان المفكرين و إن كانوا لا يسلمون بنظرية العقل الباطن كما جاء بها "فرويد" و لكنهم مع ذلك يشعرون بعظم الأثر التي تركته تلك النظرية في طبيعة الأبحاث النفسية التي تلتها.

ان الانسان يجب ان يكون حذرا كل الحذر من حوافز عقله الباطن إذ لا يجوز أن ينجرّف بما توحى به اليه انجرافا تاما، فكثير ما يخطر ببال انسان خاطر أو تلمع في ذهنه فكرة، و هو يقف عند ذلك حائرا لا يدري هل أن هذا أن هذا الخاطر قد انبعثت من قواه الكاشفة أو من رغباته المكبوتة، فإنه يحتاج في مثل هذه الحالة إذن إلى مفتاح يحل له هذا اللغز و يفرق بين الصالح و الطالح من حوافزه اللاشعورية⁴. و قد يعترض هنا معترض فيقول: إذا كان العقل الباطن كما نقول مبعثا لنوعين مختلفين من الحوافز، أحدهما صالح و الآخر طالح، فكيف يتأتى للفرد العادي أن يميز بينهما لكي يستطيع أن يسير على زعمك في سبيل النجاح؟

انها مشكلة عويصة حقا يقول "الوردي" و لست أدعي أنني قادرا على حلها حلا صحيحا، و جل ما أستطيع أن أقوله هنا هو أن الفرد يستطيع بعد ممارسته المستمرة لهذه المشكلة أن يجد لها حلا خاصا به، فالفرد الناضج قادرا إلى حد ما أن يكشف ما في عقله الباطن من عقد و رغبات مكبوتة، و هو بعد مرور تجاربه المتنوعة عليه يستطيع أن يفرق قليلا أو كثيرا بين ما هو ضار و ما هو نافع من حوافز نفسه، و ربما صح القول : بأن الفرد كلما قلت عقده النفسية كان أقدر على أن ينتفع من قواه الخارقة. فالفرد الذي امتلأت نفسه بالعقد و الرغبات المكبوتة يصعب عليه معاملته مع الناس ذلك أن قواه الخارقة لا تكون إذ ذاك نقية أو حرة في عملها، فهي تلتاث و تختلط بما يتخامها من العقد و العواطف المغلوطة و بذلك يضيع على صاحبها ما تنتج من كشف مبدع أو انجاز رائع⁵.

2-1- محتويات اللاشعور و يصنف "علي الوردي" محتويات اللاشعور إلى ثلاثة أنواع هي:

- 1- النوع الاول منها مؤلف من خوارق اللاشعور و يكون جلي في مظاهره حين تصفو نفس الانسان و تخلص من أوشابها و قيودها و عقدها.
- 2- النوع الثاني من محتويات اللاشعور مؤلف من الرغبات المكبوتة و العقد النفسية، و هذا النوع يزلحم الخوارق المبدعة في تأثيره و يدنسها أحيانا.
- 3- النوع الثالث هو ما يمكن تسميته مؤقتا القيم الاجتماعية، و هذه القيم هي التي تؤلف جزءا كبيرا من الاطار الفكري، و تستند هذه القيم في الغالب إلى همسات الضمير و وخزاته.

كما أن رغبات الانسان متنوعة و قد اختلف العلماء في تعدادها و يصنفها "الوردي" إلى ثلاث رغبات حسب الاهمية هي: (1) الرغبة المعاشية - (2) الرغبة الجنسية - (3) الرغبة الاعتبارية.

فالإنسان قبل كل شيء يريد أن يعيش و لو مات الناس كلهم دونه، إنه يقول في سره: "إذا مت عطشان فلا سقط المطر"، و لكنه يتظاهر أحيانا بعكس هذا تفاخرا و رياء، و الانسان بعد أن يسد رمقه و يصون حياته، يشتهي الجنس الآخر و يتلذذ به، و هو يدعي أحيانا بأنه مستعد للموت في سبيل الحبيب، و لكنه لا يكاد ينال حاجته حتى ينبذه نبذ النواة، و بعد يشبع الانسان من الخبز و اللذة الجنسية يشرع بالسعي وراء الشهرة و هذا ما يسميها "الوردي" بالرغبة الاعتبارية، فهو يرد أن يكون معتبرا بين قومه يشار إليه بالبنان، و كثير من أولئك الذين يدعون طلب الحق و الحقيقة، انما هم في دخيلة أنفسهم يطلبون الشهرة و ما الحقيقة عندهم إلا وسيلة لهذا الهدف المحبوب جدا.

إن هذه الرغبات الثلاث موجودة في كل انسان تقريبا على درجات متفاوتة و صور شتى، و هي قد تكون كامنة في العقل الباطن تدفع الانسان نحو أغراضها دفعا بينما هو يتصور أنه مدفوعا في سبيل الحق و الحقيقة⁶.

3- الامواج الكهربائية

لقد توصلت جمعيات المباحث النفسية في بريطانيا و غيرها أن لدى الانسان ملكات نفسية خارقة: أهمها ثلاث: تتاقل الافكار telephaty و رؤية الأشياء من وراء حواجز clairvoyance و التنبؤ foreknowledge⁷.

و قد اكتشفت الابحاث الحديثة انواعا معينة من الامواج الكهربائية تنطلق من دماغ كل انسان، و هي تختلف في النوم عنها في اليقظة، و في التفكير عنها في الذهول، و في المرض عنها في الصحة، و قد اخترع جهاز كهربائي خاص لتسجيل هذه الامواج الدماغية، و يذهب الدكتور "دايفس" إلى القول بأن كل فرد يطلق من رأسه أمواجا دماغية خاصة به دون غيره، أي أن الأمواج الدماغية مثل بصمة الاصابع لا يتشابه فيها اثنان من البشر.

و بناء على هذا فمن السهل جدا أن نعلل ظواهر تتناقل الأفكار و غيرها من الأمور الخارقة بأنها فعل أمواج غير منظورة، و يسهل كذلك أن تصور الفضاء المحيط بنا مملوءا بمختلف أنواع الأمواج، إذ هي تؤثر فينا تأثيرات مختلفة من حيث لا نعلم.

و قد ثبت علميا أن الذرة تخزن بعض الأمواج تتلقاها من الخارج ثم تطلقها بعدئذ، فمن الجائز إذن تخزن ذرات الهواء و ذرات الجدران و الأثاث في مكان ما شيئا من الأمواج المنبعثة من ادمغة أصحابه ثم تطلقها علينا عند دخولنا فيه و بذا فنحن نتأثر بها سلبا أو ايجابا من حيث لا نشعر⁸.

و أن الأمواج الكهربائية على مختلف أنواعها تتحرك في فضاء ذي أربعة أبعاد، فهي لا تكتفي بأبعاد المكان وحده، و انما تشمل بعد الزمان أيضا، و إن هذه الفرضية ضعيفة على كل حال، و لكن هناك من القرائن ما يؤيدها تأييدا لا بأس به، و اهمها ما يلي:

1- فقد وجد في الأبحاث الفيزيائية الحديثة أن الضوء يظهر على شكل موجات تارة، و على شكل دقات متتالية كطلاقات الرشاش تارة أخرى، و قد حار العلماء في تفسير هذا الازدواج العجيب في شخصية الشعاع الضوئي.

يقول الوردي: من المحتمل أننا حين نرى شعاع الضوء على شكل دقات متتالية إنما نستبين منه قمم الموجات فقط، أما البقية المخفية من الموجات فتذهب في البعد الرابع، و بعبارة أخرى: أن كل موجة من أمواج الضوء تتحرك في فضاء ذي أربعة أبعاد، و نحن نرى من أثناء هذه التجربة إلا نقطة واحدة هي القمة، أما النقاط الأخرى فتذهب في مخفية في ثنايا الزمان - الماضي أو المستقبل

2- و قد وجد الباحثون أيضا أن الالكترون يقفز داخل الذرة من مدار إلى آخر، و لا يلتزم مدارا ثابتا، و هو حين يقفز من مدار إلى آخر، لا يمر بالمسافة التي تفصل بين المدارين، إنه يختفي من مدار ليظهر في مدار آخر، فأين يذهب يا ترى أثناء القفز؟

يقول الوردي: يخيل لي أن يذهب في البعد الرابع أيضا، و ربما ذهب أثناء القفز سائحا في زمان بعيد من الماضي أو المستقبل، و من يدرينا لعله يتوغل في آلاف السنين الماضية أو المقبلة في لحظة واحدة ثم يرجع إلى الزمان الحاضر..... كأنه لم يفعل شيئا.

3- و قد وجد الباحثون أيضا أن (الالكترون) يسلك في تموجه داخل الذرة سلوكا غريبا ليس له سبب و لا يضبطه قانون فهو لا يسير في مدار يمكن تحديده، و قد جاء "هايزنبرغ" بناء على هذا بمبدأ جديد في علم الفيزياء سمي بمبدأ "عدم التحديد"، و مؤداه أن الطبيعة في مبدأها الأساسي لا تخضع لقانون، فهي تسير سيرا كيفيا كأنها تملك مشيئة ذاتية أو إرادة حرة.

و مما يلفت النظر في هذا الموضوع أن هناك عددا من العلماء يفسرون هذه الحركة العشوائية في سير الالكترون بأنها ناتجة من قصورنا عن مراقبة حركته مراقبة صحيحة، ذلك أننا في نظر هؤلاء العلماء نراقب

ظل الالكترتون فقط و لا نستطيع أن نراقبه نفسه إذ هو يتحرك في فضاء ذي أربعة أبعاد أي أنه يشمل في حركته بعد الزمان، أما نحن فلا نرى حركته إلا من خلال أبعادنا الثلاثة، و بهذا نحكي ذلك الذي يكتفي برؤية خيال الشيء أو ظله عن رؤيته إياه بالذات⁹.

يقول الوردي: أنه يتضح من هذا أن ما يبدو لنا من فوضى سير الالكترتون إنما هي فوضى في عقولنا، و لعل الأسباب التي تتحكم في سير الالكترتون موجودة في البعد الرابع حيث لا نستطيع أن نراها، و قد يؤدي هذا بنا إلى القول بأن الأسباب التي تكون كلها كامنة في الزمان الماضي أو المستقبل، و الالكترتون إذا يتحرك بحافز يأتيه من وقت آخر غير الوقت الذي نعيش فيه. إن هذه الفرضية ضعيفة كما قلنا، و لكننا لا نجد صعوبة في قبولها بناء على ما جاء به "أينشتاين" من مفهوم الزمان و المكان، إن هذا المفهوم الجديد و الحق يقال - مفهوم خطير و هائل، و هو كما لا يخفى من دعائم الانقلاب الراهن في كيان الفيزياء الحديثة.

يقول الوردي: بناء على هذا فإن التنبؤ بحوادث المستقبل ليس أمراً مستحيلاً، إن الأمواج الخفية التي تساعدنا على الاحساس الخارق لا يصعب عليها أن تتصل بالمستقبل و تكشف ما يحدث فيه، فهي تتحرك في كون ليس فيه مستقبل أو ماضي، و كلما حدث أو سيحدث موجوداً هناك في ناحية من هذا الكون العجيب¹⁰.

تصور أيها القارئ أنك راكب في زورق حيث تسير به في نهر كثير الالتواء فأنت تستطيع أن تبصر الشاطئ نقطة بعد نقطة أثناء سيرك البطيء اتجاهه، هذا بينما راكب الطائرة الذي يطير بسرعة كبيرة فوق رأسك قادر على رؤية ما تراه الآن و ما سوف تراه في الساعات المقبلة أيضاً، فهو قادر على اكتشاف المستقبل بالنسبة اليك، و هو كلما زاد ارتفاعه كبرت قدرته على رؤية النقاط البعيدة من المستقبل و الماضي أيضاً

و يقول البوفيسور جينز في هذا الصدد ما يلي: قد يكون الزمن من أوله إلى نهايته الأبدية ممتداً أمامنا في صورة، و لكننا لا نتصل إلا بلحظة واحدة منه، كما أن عجلة الدراجة لا تتصل إلا بنقطة واحدة من الأرض. إذن فالحوادث كما يقول "فايل" لا تحدث، و كلما ما في الامر أننا نمر بها مراراً¹¹.

4- الأمواج الكهربائية و اللاشعور

و هنا قد يسأل سائل فيقول: ما هي صلة هذه الأمواج الخفية بموضوع العقل الباطن الذي نحن فيه؟

الجواب على ذلك يجب أن نعرف ماهية العقل الباطن كما نفهمه يقول الوردي، الوردي لا يعتبر العقل الباطن جهازاً نفسياً معيناً له خصائصه و وظيفته الخاصة به، و الواقع أن إطلاق معنى العقل عليه هو من باب التجويز و التبسيط، فهو حسب مفهومنا -يقول الوردي- الذي جربنا عليه هذا الكتاب ليس عقلاً أو شيء يشبه العقل الذي نقصده في كلامنا عادة، إنه بالأحرى اصطلاحاً عاماً نقصد به جميع الفعاليات

النفسية التي تؤثر في سلوك الانسان و هو لا يشعر بها، و معنى هذا أننا نقصد به مجموع الرغبات المكبوتة و الحوادث الخارقة معا، فكل هذين النوعين من الحوافز ينبعث من أغور النفس بدون أن يشعر الانسان به، و بهذا الاعتبار فإننا نستعمل هذا الاصطلاح ليشمل بمفهومه المعنى التي تقصده مدرسة التحليل النفسي و المعنى الذي يقول به "تشنر" معا.

يتضح من هذا أن العقل الباطن حيز ذهني يجتمع في نوعان من الحوافز: فهو مباءة العقد النفسية و الرغبات المكبوتة من ناحية، و موئل الاحساس الخارق من الناحية الأخرى، و هو بهذا مصدر للشر و الخير معا.

هناك عددا كبيرا من العلماء يميلون إلى تفسير الاحساس الخارق بوجود أمواج أو ذبذبات خفية يتأثر بها الانسان من حيث لا يشعر، و قد جوبها هذا التفسير على كل حال باعتراضات عديدة و ربما كان أهم الاعتراضات الاعتراضات التالية:

1- لقد اكتشف الباحثون إن الاحساس الخارق لا يتأثر بالمسافة، فقد يقرأ الموهوب فكر غيره و هو قريب و لكنه يبقى قادرا على ذلك حين يبتعد عنه، و لقد ظهر من أبحاث "راين" أن الانسان يستشف الاشياء من بعيد أوضح منها عن قرب، و هذه الحقيقة تنافي فرضية الأمواج ذلك لأن الامواج الكهربائية تضعف كلما طالت المسافة، و قوتها تتناسب تناسبا عكسيا مع مربع المسافة.

2- و لقد أظهرت الابحاث العلمية أيضا أن الاحساس الخارق قادر على التنبؤ أحيانا عن بعض حوادث المستقبل، و هذه الحقيقة تنافي فرضية الامواج أيضا حيث لا يستطيع الانسان أن تصور أمواجا صادرة عن حدث لم يحدث بعد.

3- إن هذين الاعتراضين قويان حقا، و لكنهما مع ذلك لا يخلوان من ضعف على وجه من الوجوه، و لعل من الممكن ردهما، يقول "الوردي": نحن اليوم لا نعرف عن طبيعة الاحساس الخارق شيئا كثيرا حيث لا نزال في مفتاح الطرق و لا ندري ماذا سيكشف لنا البحث في الايام المقبلة من خفايا و اسرار هذا السبيل، و من المحتمل جدا أن تكون أمواج الاحساس الخارق قصيرة جدا إذ هي أقصر من الاشعة السينية أو الاشعة الكونية، هذا مع العلم أن الامواج الكهربائية تختلف من حيث بخصائصها و طريقة سيرها تبعا لما عليها من طول أو قصر.

و قد علمتنا الاذاعات المختلفة، التي مارسنا الاستماع اليها، كيف أن الامواج القصيرة تكون أحيانا واضحة في البعد كما في القرب معا، و ذلك أنها حين تخرج من محطة الاذاعة تصعد مرتفعة نحو السماء فتصطدم هناك بطبقات معينة ثم ترجع إلى الارض على بعد شاسع من غير أن يؤثر فيها هذا البعد تأثيرا كبيرا، و يضيف الوردي إننا ننظر ما يكشفه لنا العلم مستقبلا. و قد دلت أبحاث "اينشتاين" أن الامواج تسير في فضاء غير هذا الفضاء الذي نتصوره، فنحن قد اعتدنا أن نتصور الفضاء فراغا له أبعاد ثلاثة، بينما "اينشتاين" يقول ان الفضاء له ابعاد اربعة هي: الطول و العرض و

الارتفاع و الزمان، و هذا القول يؤدي بنا إلى اعتبار الزمان بعدا في الفضاء لا يختلف عن الابعاد الاخرى اختلافا جوهريا.

و معنى هذا أن التنبؤ بحوادث المستقبل لا يختلف في جوهره عن الاحساس بأشياء موجودة في الوقت الحاضر فالنفس البشرية التي تستطيع أن تخترق حاجز المسافة المكانية تستطيع أيضا أن تخترق حاجز المسافة الزمانية إنها قد تبصر شيئا مختفيا عنها في ثنايا المستقبل بنفس السهولة التي تبصر بها شيئا مغيبا عنها في أحد الابعاد الاخرى من الفضاء¹².

إن هذا الأمر لا نقدر على تصوره طبعا لأننا قد اعتدنا أن نتصور الزمان منفصلا عن المكان، و لكن الأبحاث الرياضية الجديدة لا ترى في ذلك أية صعوبة، فالزمان في نظرها امتداد في الفضاء كامتداد الطول و العرض و الارتفاع فيه، و المسافة بين الماضي و المستقبل لا تختلف في صميم طبيعتها عن اية مسافة معينة على سطح الارض مثلا. فلا فرق إذن بين أن ينظر الانسان حوادث الغد أو أن ينظر نحو حوادث أخرى تجري الآن في ناحية من نواحي البلد، و على هذا الاعتبار فإن الزمان لا يسير، انما هو واقف في مكانه، و نحن الذين نسير نحو الواقع، حيث ننقل من نقطة إلى أخرى على امتداد خط الزمان المديد¹³.

ان العقل الباطن هو الذي يسير الانسان في الكثير من اموره و يوجه سلوكه، أما العقل الظاهر فليس الأطلاع و رياءك، و نحن كلما اعتنينا بالعقل الظاهر و حشونا بالمبادئ الافلاطونية و المعلومات المطلقة خلقنا بينه و بين العقل الباطن ثغرة و جعلنا شخصية الفرد من جراء ذلك ذات شقين. و يسمي الفرد بهذا مرثيا يقول شيئا و يفعل نقيضه، و يدعي صفة ثم يقوم بما يخالفها من قول أو فعل، فهو حين يكتب أو يخطب أو ينصح تراه يعيد ما لقناه من كلمات رنانة و مثل جوفاء، أما حين يسعى وراء العيش أو ينافس أقرانه فيه فتجد كغيره من الناس مسوقا بما يمليه عليه عقله الباطن من طمع دنيء أو شهوة خسيسة أو حب للشهرة و الجاه في الحق و الباطل على السواء¹⁴.

ليس هناك بين البشر فرد لا ضمير له، فالضمير كالشخصية موجود في كل انسان، و لكنه يختلف في الاتجاه الذي يتجه إليه، و إن الذي نقول عنه "لا ضمير له" فهو في الواقع يملك ضميرا... و ضميرا قويا في بعض الأحيان، لكنه ضمير متحيز يكاد لا يتجاوز بمداه حدود الجماعة التي يأنس إليها و يتغنى بقيمها و مقاييسها¹⁵.

5- الارادة و النجاح

و يرى الوردي: ان النجاح لا ينبعث من الارادة فقط، في الواقع أننا نخفق في أي عمل نقوم به إذا تعاكست في أذهاننا المخيلة و الارادة ، و لعلنا لا نغالي إذا قلنا بأن الشخصية الناجحة هي التي تتخيل النجاح التي تريده، و الاولى بالمربين أن يطبعوا خيال النجاح في أذهان الأطفال بدلا من يحرضوهم على إرادة النجاح فينبغي أن يقولوا لهم "أنتم ناجحون" عوضا أن يقولوا "كونوا ناجحين" و من المؤسف حقا أن نرى الالباء في هذه البلاد يربون أولادهم على العكس من ذلك، فهم يجعلون أولادهم يريدون النجاح في

الوقت الذي يتخيلون فيه الخيبة، إن من الممكن القول بأن سوء الحظ عقدة نفسية، فسيء الحظ هو الذي يتخيل الخيبة و الفشل في كل عمل يقوم به، فهو يريد النجاح و يحرص عليه و يدأب في سبيله، و لكنه في أعماق عقله الباطن يتصور الفشل.

إن شعار المربين عندنا يدور معظمه حول عبارة "كن.....و لا تكن" فهم يقولون للطفل : أنت لا تشابه أولاد الناس فاجتهد حتى تكون مثلهم. و هذه الطريقة إلى الضرر من ناحيتين: فهي تغرز في مخيلة الطفل صورة متشائمة عن نفسه من ناحية، و هي تحرضه على ارادة النجاح من ناحية أخرى، و هو يصبح إنز ضحية من ضحايا الجهد المعكوس - يريد النجاح في عقله الواعي بينما هو يريد الفشل في عقله الباطن¹⁶.

يقول "جيمس": إن الفرق بين العباقرة و غيرهم من الناس العاديين ليس مرجعهم إلى صفة أو موهبة فطرية في العقل، بل إلى الموضوعات و الغايات التي يوجهون إليها همهم، و إلى درجة التركيز التي يسعون أن يبلغوها.

المبدع هو الذي ينغمس في عمله و يذوب فيه، إنه لا يريد أن ينجح عمله و لا يقصد الكمال في أدائه، فهو حين يعمل لا يشعر بنفسه و لا يحس أن له قصدا يسعى وراءه، إنه يصبح أثناء العمل كأنه جزء من العمل، فهو يسير فيه منسابا على سليقته، و إذ ذاك يتسلم العقل الباطن زمام الأمور فيقوده إلى الغاية المنشودة من حيث لا يدري¹⁷.

إن الابداع الفكري يحتاج، كما لا يخفى، إلى أن يمر في مرحلتين هما مرحلة الخزن و مرحلة الاجترار، و بعبارة أخرى أن كل مبدع أو مفكر يحتاج في أول الأمر إلى عمل دائم حيث يجمع به المعلومات اللازمة فيخزنها في عقله الباطن لتختبر و تتضح، و هذه ما نسميها بمرحلة الخزن، فإذا اجتاز المفكر هذه المرحلة، لجأ إلى المرحلة الثانية و هي مرحلة الاجترار، حيث تراه بعيدا و أخذ يسبح سادرا في خيالات تشبه أحلام اليقظة، أنه يترك عقله الباطن آنذاك هائما في خيالاته كما يشاء، و حينئذ تنبعث لديه معظم أفكار الابداع و الاختراع مثلا إن طريق الابداع في الكتابة يحتاج إلى مراحل ثلاث هي:

المرحلة الاولى: هي البحث في الوعي و التنقيب و جمع المعلومات و تصنيفها، إن هذه المرحلة لا تكفي وحدها للإبداع انما هي ضرورية أحيانا، و يمكن تسميتها مرحلة الخزن، فالعقل الباطن لا يعمل و هو فارغ، إنما يجب أن يملأ أولا بالمحتويات المتنوعة، فتكون هذه المحتويات بمثابة المواد الخام الذي يصنع منها البضاعة النهائية.

المرحلة الثانية: هي مرحلة الانبثاق اللاشعوري، فالكاتب بعد أن يخزن المعلومات في عقله الباطن و يتركها هناك لكي تختبر و تتلاقح يجد نفسه مدفوعا بدافع لا يدري كنهه إلى الكتابة، فهو يريد أن يكتب و لو لقي في سبيل ذلك حقه، إنه يصبح عبدا لحياته اللاشعورية، لا يجد مناصا من الانصياع إليها و يكون قلمه آنذاك هو السيد المطاع فهو يجري معه أنى جرى.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة التنسيق و الترويق و الحذقة المنطقية، إن ساعة الالهام كثيرا ما تكون مستبدة بحيث لا تدع لصاحبها مجالا أن يفكر بما تقتضيه مألوفات الناس و ما يستغيه منطقهم ففي المرحلة النهائية يجب على الكاتب أن يراجع ما كتب في ساعة الالهام فيشطبه منه قسما و يزوق القسم الآخر، فهو في هذه المرحلة يخرج من علو اللاشعور إلى عالم الشعور فيكون اجتماعيا بعدما كان عبقريا.

و منه نستنتج ان الابداع بكل أنواعه يتصل اتصالا وثيقا باللاشعور دون ان نهمل الشعور (الوعي) لان هذه مرحلة مهمة و تعد المرحلة الاولى لتزويد اللاشعور بالمعلومات اللازمة لتوظيفه توظيفا جيدا.

(6) الأحلام و التنبؤ بالمستقبل

الاحلام ظاهرة طبيعية فسيولوجية حيث تعمل الاحلام على التوافق والتصالح بين العقل الباطن وما يحتويه من غرائز واحتياجات وامنيات لم تتحقق وبين المحيط الخارجي للفرد فالشخص الذي يحلم يتمتع بصحة نفسية وتوافق نفسي اكثر من الشخص الذي لا يحلم حيث تعتبر الاحلام مخرج لحل الصراعات الداخلية ووسيلة للتنفيس، ان الاشخاص الذين لا يحلمون لا يمكن القول بانهم مرضى لكنهم بالحقيقية يحلمون والمشكلة تكمن في عملية تذكرهم للحلم وغالبا الاشخاص للذين لا يحلمون يعانون من خلل في احدى مراحل النوم حيث ان المرحلة الخامسة هي المسؤولة عن الاحلام وهم يحلمون في المرحلة الثانية او الثالثة لذلك هم لا يتذكرون ما يحلمون به

(1-6) تعريف الأحلام

يقول "هانفر" في هذا الصدد الحلم ان هو إلا استئناف على نحو ما من حياة اليقظة، و إذا تأملنا أحلامنا و جدنا أن هناك باستمرار صلة بينها و بين الأمور التي كانت تشغلنا تفكيرنا قبل النوم .

و يقول "هيلد برانت" إن الحلم شيء مقتطع من الواقع الذي نعرفه في يقظتنا اقتطاعا تاما.... حتى أنه يسوغ لنا أن نقول أن الحلم له وجوده في المستقبل¹⁸.

(2-6) الأحلام في رأي العلم

من بين العلماء الذين اهتموا بالاحلام و تأثيرها على الاشخاص و مدا صحتها و قدرة صاحبها على التنبؤ العالم "راين" و العالم "تيرل"، كما أن هناك الكثير من الباحثين الذين شغلوا أمرهم بتنبؤات الأحلام، و هم انقسموا في تعليلها إلى قسمين هما:

الفريق الأول: هو الذي يشمل جمهرة الباحثين في الأحلام من علماء النفس، فيحاول تعليل تنبؤات الاحلام بعامل الاتفاق و الصدفة، و ممن ذهب هذا المذهب العالم المصري "ملاك جرجيس" الاخصائي المصري في علم النفس، و في هذا الصدد جاء في مقالة نشرها في مجلة مصرية آنذاك قال الدكتور "جرجيس": إن نسبة الاحلام التي لا تتحقق عند الناس أكثر من الأحلام التي تتحقق، و ليس هناك أي أساس علمي يمكن

للفرد العادي أن يعتمد عليه لتفسير أحلامه و الحد الذي يتحقق يكون عادة نتيجة المصادفة أو لتوقع صاحبه حدوث ما حدث و لو بأسلوب غير واع و ليس في ذلك شيء من التنبؤ¹⁹.

الفريق الثاني: في رأي هذا الفريق أن عامل الصدفة قد يصح في تحليل كثير من تنبؤات الاحلام و لكن لا يصح في تحليلها كلها، ففي هذه التنبؤات جوانب غامضة لا يسهل تحليلها ذلك لأمرين هما:

أولاً : قد يرى الانسان في بعض أحلامه حادثة متشعبة كثيرة التفاصيل ثم يتحقق بعدئذ صدق الرؤية كأنها كانت مسجلة في شريط سينمائي، إن الحلم لم يكن مجرد خبرا بل ظهرت فيه تفاصيل عديدة، و من الصعب أن نتصور اجتماع هذه التفاصيل في الحلم و الواقع لو كان الأمر ناشئاً عن مصادفة المحضة، إن قوانين الاحتمال في علم الاحصاء تستبعد ذلك.

ثانياً: إن بعض تنبؤات الأحلام التي تتحقق فيما بعد لا تظهر مرة واحدة، بل تتكرر أحيانا كأنها إنذار من مصدر خفي يحاول تنبيه الانسان إلى خطر مقبل، و ليس من النادر أن يتكرر الانذار خلال فترة طويلة من الزمن، و مثل هذا الحلم يصعب تحليله بعامل المصادفة، فنحن نعرف عن المصادفة على أنها لا تتكرر على نمط واحد إلا في حالات نادرة جداً.

يقول الوردي: معنى هذا كله أن بعض تنبؤات الاحلام تدل على وجود حاسة خارقة في الانسان تستطيع أن تخترق حجاب الزمن و تستشف ما يكمن وراءه من حوادث مقبلة.

و يضيف الوردي بقوله: مهما يكون الحال فإننا إذا أخذنا بهذا الرأي الذي جاء به الفريق الثاني، انصبت أمامنا مشكلة فلسفية عويصة هي كيف يمكن لنفس البشرية أن تخترق حجاب الزمان أو بالأحرى ما هو الزمان؟

إننا اعتدنا أن نفهم الزمان باعتباره مجموعة من اللحظات الآتية تتوالى علينا لحظة بعد لحظة و معنى هذا أن بيننا و بين الحوادث المقبلة حاجز من اللحظات التي نعدّها بحساب الدقائق و الثواني أحيانا و بحساب الأعوام و الأيام أحيانا أخرى، فهل في مقدور النفس البشرية أن تقفز فوق هذا الحاجز فتري ما يكمن وراءه كما يقفز الانسان وراء حاجز المكان فيرى الأشياء المخفية خلفه.

يجيب بعض الباحثين على هذا السؤال بالإيجاب، و هم يستندون في جوابهم على نظرية "أينشتاين" في مفهوم الزمان، ففي رأي هؤلاء أن الزمان ليس مؤلفاً من تتابع لحظات آتية كما نتوهم نحن في مفاهيمنا المألوفة، إنما هو بالأحرى خط ممتد في الفضاء كامتداد خطوط الطول و العرض و الارتفاع، و هو إذن بعد رابع يضاف إلى هذه الابعاد الثلاثة المعروفة لدينا.

يقول الوردي: في ظل هذا المفهوم نستطيع أن نقول بأن الدقائق التي نقيس بها طول الزمان ليست سوى مقاييس اعتبارية اصطلاحية دون أن يكون لها أساس موضوعي، فالزمان واقف لا يتحرك و لكننا نحن الذين نتحرك بالنسبة اليه فنظن خطأً بأنه هو المتحرك و من الممكن إذن تشبيه الانسان تجاه الزمن براكب

القطار الذي ينظر من خلال النافذة إلى أعمدة البرق فيراها تجري بينما هي في حقيقة الأمر واقفة في مكانها لا تريم²⁰.

(7) الأحلام و الابداع

يقال عن "ابن سينا" كان إذا صعبت عليه مشكلة توضأ و صلى ثم نام فيرى حل تلك المشكلة في أحلامه، و يروى مثل هذه القصة عن "ديكارت"، فهو قد كشف كشوفه العظيمة، كما يقال و هو نائم في فراشه صباحاً، و كذلك يروى عن مكتشف الانسولين أنه قد اكتشف هذا الدواء أثناء ما كان نائماً، فهو بعد كثيراً عن مرض السكري، إذ كان يعد محاضرة لليوم التالي، تملكه الاعياء فنام، و في الساعة الثانية بعد منتصف الليل استيقظ فجأة و أضاء المصباح و كتب ثلاث عبارات في مذكرته، فكانت هذه العبارات البسيطة هي المفتاح لاكتشاف العلاج الخطير لمرض السكري، كما أن السكرتير السابق لمالية الولايات المتحدة يستعمل طريقة خاصة في الاستفاضة من احلامه، فهو كان يأوي إلى فراشه حول منتصف الليل بعد أن يكون قد أضنى قواه العقلية، و لذا هو قد اعتاد أن يضع ورقاً و قلماً بجانب فراشه ليسجل به ما قد تكشف أحلامه لحلول لمشاكله الكثيرة، وكان يستيقظ أحياناً و في رأسه فكرة طارئة، فيسرع إلى القلم ليقيدها قبل اختفائها، و كثيراً ما انتفع "جيس" من هذه الطريقة في الوصول إلى حلول عجز عنها في ساعات اليقظة .

و لقد حاول الكثير من الباحثين أن يضعوا طريقة نفسية معينة يتمكن الانسان بها من أن يستثمر أحلامه في حل مشاكله، و الظاهر أن معظم الطرائق التي وضعوها تدور حول تركيز العقل الباطن قبل النوم على فكرة معينة و بعث الثقة فيه و شحذه لكي يتوجه نحوها ببصيرة ثاقبة²¹.

مصادر الأحلام

و قد احتدم الخلاف بين المؤلفين حول مصادر الاحلام ، و يقول "قرويد" يمكن تلخيص مصادرها حسب وجه نظر العلماء الى أربعة مصادر هي:

- ✓ اثارات حسية تأتي من خارج الجسم.
- ✓ اثارات حسية تأتي من داخل الجسم.
- ✓ اثارات عضوية باطنية.
- ✓ اثارات نفسية خالصة²².
- ✓ إن التحول العلمي كما سبق الذكر في مفهوم المادة فتح للعلماء أفاق واسعة في التفكير لم يكونوا يألّفونها من قبل و من هذا أصبحت الامور التي لا يمكن تصديقها في الماضي قابلة للتصديق في يومنا هذا، و من هذه الأمور تلك التي تتعلق بخوارق الاحلام و غيرها.

يقول الوردي: أود أن لا تفوتني الفرصة أخيراً لأبين خطأ بعض الاغرار من متعلمينا الذين اعتادوا أن ينظروا في هذا الموضوع نظرة استهانة و استهزاء إذ لا يكاد أحدهم أن يستمع إلى حديث التنبؤ في الأحلام حتى يلوي عنقه عنه استكباراً و بعده من قبيل الخرافة. ينبغي أن يعلم هؤلاء أن هذا الموضوع أكثر جدية من نستيهين به أو نشطب عليه بجرة قلم، إنه يحتوي عل ألغاز محيرة، و الواجب العلمي يقضي علينا أن نبحت في هذه الالغاز و نحاول تعليلها بما تيسر لنا من اساليب موضوعية و لعلنا بذلك نساعد العلم عل اكتشاف بعض اسرار النفس البشرية كما ساعد اسلافنا في اكتشاف الذرة و الكهرباء.

خاتمة:

و في ختام هذه الورقة البحثية نخلص أن اللاشعور و الاحلام و الابداع مفاهيم متعلقة ببعضها البعض كما أن للاشعور أهمية كبرى في نجاح الفرد أو فشله، و الشيء الجديد الذي جاء به الدكتور "علي الوردي" أن كلما كانت النفس البشرية خالية من العقد و الاضطرابات النفسية و تميل للسواء فإن اللاشعور يعمل المعجزات في تغيير الفرد الى الاحسن كما أن التفسير العلمي الذي استند اليه "علي الوردي" في فهم اللاشعور و الاحلام و الابداع من خلال تدليله على نظرية "اينشتاين" تعتبر إضافة جديدة لم يسبقه أحد إلى ذلك.

الهوامش:

1. <https://ar.wikipedia.org/wiki>
2. <http://www.goodreads.com/author/show/2798546>
3. 2014-1-26 <http://www.shakwmakw.com/vb/showthread.php?t=522519>
4. علي الوردي(1996).خوارق اللاشعور. ط2 دار الوراق للنشر لندن، ص39،36.
5. علي الوردي(1996).المرجع السابق. ص39،38
6. علي الوردي(1996). المرجع السابق. ص134- 235
7. علي الوردي(1996). المرجع السابق. ص145
8. علي الوردي(1996). المرجع السابق. ص154- 155
9. علي الوردي(1996). المرجع السابق . ص163
10. علي الوردي(1996). المرجع السابق. ص163
11. علي الوردي(1996) المرجع السابق. ص 160- 161
12. علي الوردي(1996). المرجع السابق. ص 158- 160
13. علي الوردي(1996). المرجع السابق. ص160
14. علي الوردي(1996). المرجع السابق. ص 222
15. علي الوردي(1996). المرجع السابق. ص228
16. علي الوردي(1996). المرجع السابق. ص121
17. علي الوردي(1996). المرجع السابق. ص 135 – 136
18. سيغموند فرويد(1962)، تفسير الاحلام، تلخيص و تنظيم نظمي لوقا، دار الهلال، ص15
19. علي الوردي(1994). الاحلام بين العلم و العقيدة، ط2 دار كوفان لندن. ص147
20. علي الوردي(1994). المرجع السابق. ص 148- 149
21. علي الوردي(1994). المرجع السابق. ص173
22. سيغموند فرويد(1962). مرجع سبق ذكره . ص 19